



تصريح رجل الدين الإيراني مهدي طائب وهو في موقع سياسي مرموق، فهو مسؤول عن مكافحة الحرب الناعمة الموجهة ضد إيران، هذا التصريح ليس جديدا ولم يصدر عن فراغ، لكنه قد يعتبر الأبلغ والأكثر وضوحا من أي تصريحات سبقته في هذا المجال.

والتصريح يقدم دليلا جديدا، ليس فقط على تعاظم النفوذ الإيراني في بلد عربي كسوريا، وهذا ليس بجديد، بل يشير أيضا إلى العلاقة العضوية بل والهيكلية الإدارية عندما يدعي بأن سوريا ما هي إلا المحافظة 35 من محافظات إيران، وأن سقوطها - حسب تعبيره - إنما هو أخطر على إيران من سقوط الأحواز!

ينطوي التصريح على مضمونين كثيرة: أولها إقرار إيران بغزو سوريا واحتلالها فعليا وتغييب الدولة السورية، إذ أصبح حالها حال الكويت عندما غزاها العراق عام 1990 وحولها إلى المحافظة التاسعة عشرة، وإذا كان غزو العراق قد تم باستخدام القوة العسكرية على أوسع نطاق فإن غزو سوريا من جانب إيران يبدو أنه تم من خلال التوظيف المحكم للقوة الناعمة، رغم أن النتيجة واحدة، لم يتعاطف شعب الكويت مع الغزو، بل قاومه بشدة، وبالتالي لن يتعاطف الشعب السوري مع الغزو الإيراني وسيقاومه بشدة أكبر.

إذن تدخل إيران السافر في الأزمة السورية ومقاومتها لرغبات السوريين في التغيير باستخدام القوة العسكرية المفرطة مباشرة بانتشار ما يزيد على 60 ألف مقاتل، أو بشكل غير مباشر عن طريق دعم النظام السوري بكل وسائل الدعم، لا يستهدف مجرد الدفاع عن نظام ممانعة، بل الدفاع عن السيادة الإيرانية المتمثلة بالمحافظة الخامسة والثلاثين، أو بكلمة

آخرى: الدفاع عن إيران بالذات !!

وبالتالى علينا أن ندرك حجم التحدى الميداني الذى يواجهه المقاومون السوريون، وهو كبير، بل بات مضاعفا وأبعد ما يكون عن استحقاقات مواجهة نظام مستبد فحسب.

فالذين يقاتلون على الأرض السورية إنما يقاتلون جيشين، جيش النظام، إضافة إلى جيش الغزو الإيرانى من حرس ثوري وفيلق القدس وميليشيات لبنانية وعراقية وغيرها. لهذا سيطول أمد معاناة شعبنا العربي في سوريا ويتأخر التغيير. أما غرض القتال فلم يعد كما كان فعليا مجرد إسقاط نظام حكم مستبد، بل تحول إلى تحرير بلد محظى، وهذا تتضاعف شرعية من يحمل السلاح من المقاومين.

مهما كانت العلاقة بين النظمتين الإيرانية والسويسرية قوية ومتينة ومحببة لكن ذلك ما كان ينبغي أن يقود إلى التفريط في الهوية الوطنية والقومية لسوريا وتحولها إلى مجرد تابع ومحافظة تقع في ذيل المحافظات الإيرانية.

لم يشفع كون العلوين هم من يمسك بزمام الأمر حتى الآن لأن تتعطف إيران وتعامل مع دولة تتطابق معها مذهبها وسياسيها بالندية والتكافؤ وتصرف النظر عن أجندتها التوسعية، على الأقل ظاهريا، لتفادي إراج النظام السوري.

هذا لن يحصل بالنسبة لإيران لسبب بسيط يتعلق بتصنيف إيران دولة قومية توسعية بامتياز، توظف الدين والمذهب للتوسيع وبسط النفوذ، لا فرق عندها أن تكون الدولة المستهدفة شيعية أم سنية أم خلاف ذلك.

العرب المظلومون بالبروباغندا الإيرانية عليهم أن يعيدوا النظر في موقفهم من إيران التي تحسن دغدغة المشاعر و تعرض نفسها على البسطاء أنها حامية للمذهب، لكن حقيقة مراميها تتجاوز ذلك إلى حد سلب السيادة وتغيير الهوية.

أن تحول سوريا العربية إلى مجرد محافظة إيرانية تابعة أمر ينطوي على تهديد للأمن القومي العربي من جهة، ويزعزع الأمن والاستقرار الإقليمي من جهة أخرى، وفي كلتا الحالتين ينبغي التعامل مع هذا التصريح بمنتهى الجدية وعدم الاكتفاء بإصدار بيانات الاستنكار والإدانة أو لمجرد تعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية، وهو مطلوب من أجل منع الاختراق العربي عندما تحول سوريا باعتراف إيران إلى تابع وتعمل في إطار المنظومة العربية كطابور خامس، بل ينبغي أن ينعكس الرد ميدانيا ويفجر من طبيعة الصراع الدائر في سوريا.

فقد العرب قوة الردع، ولذا باتت حصونهم مهددة من الداخل، ومصالحهم مستباحة من الخارج، لكن صحوة حقيقة في الطريق، تباشيرها واضحة، وتبقى مثل هذه التصريحات رغم ما فيها من استفزاز وجراحته لكرامة مرغوبة لأنها تنبه الغافلين، وما أكثرهم.

انتظروا تصريحا صارخا آخر في المستقبل عندما سيحدث قطب من أقطاب ولاية الفقيه عن العراق، ونتوقع أن يكونصادما بكل المقاييس، وسيكون ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن العراق هو الأقرب إلى إيران من سوريا، وهو دولة خليجية والأكبر مساحة والأغنى ثراء، وبالتالي لا بد أن موقعه على الخارطة السياسية الإيرانية سيكون متميزا.

الشرق الأوسط

المصادر: